واذا ذكر الله اي الذي لا اله غيره وحده اي دون آلهتهم اشمأزت قال
ابن عباس ومجاهد يعني انقبضت وقال قتادة استكبرت واصل
الاشمئزاز النفور والاستكبار اي نفرت واستكبرت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة اي لا يؤمنون بالبعث واذا ذكر الذين من دونه اي الاصنام اذا هم
يستبشرون اي يفرحون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله تعالى
ولقد بالغ في الامرين حتى الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلي قلبه
سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غيظا وهما
حتى ينقبض اديم وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك قرا النبي صلى
الله عليه وسلم سورة النجم والقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق
العلى ففرح به المشركون وقد تقدم الكلام في سورة الحج تنبيه
قال الزمخشري فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل
في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت الاستبشار
قال ابو حيان اما قول الزمخشري فلا اعلمه من قول من ينتمي الى النحو
وهو ان الظرفين معمولان لفاجاوا ثم اذا الاولى تنتصب على الظرفية
والثانية على المفعول به ولما حكى الله تعالى عن هولاء الكفار هذا الامر
العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده اردفه بذكر الدعاء العظيم
فقال تعالى قل اللهم اي يا الله فاطر اي مبدع من العدم السموات
والارض اي التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في
عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال
كلها عالم الغيب والشهادة وصف تعالى نفسه بكمال القدرة وكمال
العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين وعن الربيع بن
خثيم وكان قليل الكلام اخبر بقتل الحسين وسخط على قاتله وقالوا
الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرا الآية وروي انه قال
على اثرها قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه في
حجره ويضع فاه على فيه وعن ابي سلمة قال سالت عائشة بم كان يفتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل قالت كان يقول
اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى
صراط مستقيم ولما حكى الله تعالى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في
وعيدهم اشيا اولها قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اي انفسهم بالكفر
ما في الارض جميعا اي من الاموال ومثله معه لافتدوا اي اجتهدوا
في طلب ان يفدوا انفسهم به من سوء العذاب يوم القيامة وهذا وعيد شديد

واقناط

واقناط كلي لهم من الخلاص روى الشيخان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما على الارض
من شي لكنت مفتديا به فيقول نعم فيقول قد اردت منك اهون من هذا وانت
في ظهر آدم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا ان تشرك بي قوله اردت اي فعلت
معك الامر فعل المريد وهو معنى قوله في رواية قد سالتك ثانيها قوله تعالى
وبدا لهم من الله اي الملك الاعظم ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من
انواع العذاب لم تكن في حسابهم وفي هذا زيادة مبالغة وهو نظير قوله تعالى
في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الثواب
في الجنة فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال
مقاتل ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا انه نازل بهم في الآخرة
وقال السدي ظنوا ان اعمالهم حسنات فبدت لهم سيات لانهم كانوا
يتقربون الى الله بعبادة الاصنام ويظنونها حسنات فبدت لهم
سيات ثالثها قوله تعالى وبدا لهم اي ظهر ظهورا تاما سيات ما كسبوا
اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وحاق اي نزل بهم ما كانوا
به يستهزؤن اي يطلبون ويوجدون الهزء من العذاب
ثم حكى الله عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة بقوله تعالى
فاذا مس الانسان اي الجنس ضر اي فقر او مرض او غير ذلك
دعانا اي في دفع ذلك فان قيل ما السبب في عطف هذه الآية
بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو اجيب بان السبب في ذلك
ان هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر الله وحده
اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون
بذكر آلهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر
بذكره فقوله تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا
ذكر الله وحده وما بينهما اعتراض موكد لانكار ذلك عليهم هذا محصل
كلام الزمخشري واعترضه ابو حيان بان ابا علي يمنع الاعتراض بجملتين
فكيف بهذه الجمل الكثيرة ثم قال والذي يظهر في الربط انه لما قال
ولو ان للذين ظلموا الآية كان ذلك اشعارا بما ينال الظالمين من
شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب اتبع ذلك
بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه
لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى ثم اذا خولناه اي اعطيناه نعمة
منا اي تفضلا فان التخويل يختص به قال انما اوتيته اي المنعم
به على علم اي على علم من الله تعالى اني له اهل وقيل ان كان ذلك سعادة
في المال او عافية في النفس يقول انما حصل ذلك بجده واجتهاده

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)